**المحاضرة للأستاذ لعور كمال من جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف:**

**المحاضرة الثالثة: مرجعيات الأدب الصوفي**

1. **المرجع الديني**:

تعود نشأة التصوف في الإسلام إلى حركة الزهد التي ظهرت تحت تأثير تعاليم المسيحية في القرن السابع الميلادي، كما هو منقول من كتب تراجم الصوفية، وقد احتفظت هذه الحركة بطابعها الإسلامي من حيث الإحساس الديني العميق، الخوف من الله، والتفويض التام له والخضوع لإرادته، ولم تكن حياة الزهد عندهم منظمة وإنما كان بعض منهم يسيحون في البلاد ومعهم القليل من المريدين، أو يعقدون مجالس يتدارسون فيها القرآن...

كان عماد التصوف في بدايته الكتاب والسنة قبل أن تتسلّل فيه تيارات فكرية متغلغلة فكان بسيطا قائم على عقيدة التوحيد، وغايتهم من الزهد نيل محبة الله وظلت هذه طريقتهم سمات التعبد عندهم بين الزهد والتصوف.

في القرن الثالث للهجري حاول المتصوفة تحقيق فكرة إخضاع الإرادة الإلهية لكل ما يصدر منهم قولا أو فعلا أو عملا، فنتج عن هذا عقيدة الحب الإلاهي والوجد، وما بين حياة الحب والوجد اصطدمت حياة الصوفية الجديدة بالإسلام، وبدأ الحائل بين الحق والخلق يزول وتحول عندهم معنى التوحيد إلى وحدة الوجود.

وهكذا تطورت ممارستهم الدينية بتطور ظروف التصوف الخاصة التي نشأت من رحم المجتمع فهو حسب الباحثين حصيلة نضج الدراسات الخاصة بالتصوف الإسلامي، وتذهب فئة أخرى من الباحثين إلى رفض القول بأن هناك تأثيرات أجنبية منشئة للزهد، لأن الزهد بعيد عن أي مؤثرات أجنبية وربطوه بمصدري الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية وهما كذلك البذور الحقيقية للتصوف.

1. **المرجع الفكري**:

يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن التصوف الإسلامي ظهر نتيجة التأثر بالعنصر المسيحي والعنصر الهندي البوذي خاصة في فكرة وحدة الوجود، وهناك من يرجعها إلى التعاليم الأفلاطونية، وهناك رأي آخر ينظر إلى التصوف على أنّه ناتج ناتج عن التأثير الإسلامي مستثنيا بعض المتصوفة الذين تأثروا بشكل محدود بالفلسفة الهندية والفارسية مثل المتصوف أبي يزيد البسطامي، أو التأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة كذي النون المصري، وهذا ما جاء في قول الباحث نيكلسون «أما في القرن الثالث للهجري فقد ظهر التصوف في صورة جديدة تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها، وهي صورة لا يمكن تفسيرها بأنها نتيجة تطور لعوامل روحية من صميم الإسلام نفسه....ولكني على يقين من أنّنا إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق استحال علينا أن نردّ أصله إلى عامل هندي أو فارسي ولزم أن نعتبره وليد اتحاد الفكر اليوناني والديانة المسيحية والمذهب الغنوصي» .

إنّ نظرة المستشرقين ترتكز على المصدر الأجنبي للتصوف وللزهد أيضا الذي يراه البعض تقليد لرهبنة نساك النصارى، وهم يعززون رأيهم هذا بالقول: بأنّ القرآن الكريم لا يصلح أن يتخذ أساسا لأي مذهب صوفي، لأنه كتاب يتعلق بالظواهر الخارجية وليس فيه الحنو الداخلي والحقيقي الذي يعين على ظهور نزعات روحية عند أتباعه و

أخرى بموازنة حياة الزهاد والعباد المسلمين.